خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

يوم ٢٠١٤/١٢/٠٥

في مسجد بيت الفتوح بلندن

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـــه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (النساء: ٦٠)

لقد ذكر الله تعالى في هذه الآية مبدأ أساسيًا للمؤمن الحقيقي وهو أنه ينبغي أن يتميّز بالطاعة ويبرزها دائمًا بكل جلاء سواء كانت الطاعة لله أو لرسوله أو للحكام، ولكن إذا أمرته الحكومة بما يتعارض مع أمر الله الواضح وأمر رسوله فلا بد أن يقدِّم أمرَ الله ورسوله؛ أما إذا كانت الحكومة لا تتدخل في الأمور الدينية فلا بد من طاعتها، سواء كان القائمون عليها مسلمين أم غير مسلمين. يقول المسيح الموعود عليه السلام:

"لقد جاء في القرآن الكريم: ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ وفيه أمر واضح لطاعة أولي الأمر. وإن قال أحد بأن الحكومة لا تدخل في (منكم) فهذا خطأ واضح منه. كل ما تقوم به الحكومة ويتوافق مع الشريعة فهو يدخل في (منكم). والذي لا يخالفنا فهو منا. يثبت من القرآن إشارةَ نصٍّ أنه يجب أن يطيع المرءُ الحكومةَ."

أي يتضح من القرآن الكريم وهو ما أشارت إليه الآية المذكورة أنه يجب طاعة الحكومة.

فلقد أوضح الحكَمُ العدلُ في هذا الزمان أنه على المؤمن أن يطيع الحكومة في جميع قوانين بلده التي تخص الأمور الدنيوية ويتقيد بها ما عدا الأوامر التي تؤدي إلى مخالفة أوامر الله وأوامر رسوله. لو عمل بهذا الأصل

الذهبي مسلمو هذا العصر وتخلّوا عن محاربة حكومات بلادهم لهدأت كثيرًا أوضاعُ الفتن المستشرية في بلاد كثيرة.

على أية حال، لا أريد الخوض الآن في مسئولية الحكام عن هذه الأوضاع ومدى مسئولية الأحزاب المفسدة، وإلى أي مدى تتأثر بها الأمة المسلمة، بل سأقدم أمامكم مقتبسًا من كلام المسيح الموعود عليه السلام، وهو مقتبس طويل نوعًا ما إلا أنه يحوي جوانب شتى من مستويات الطاعة وأهميتها، والأضرار الناجمة عن عدم الطاعة، ودور الطاعة في نشر الإسلام. ولا شك أن الأحمديين وحدَهم يقْدرون في هذا العصر على إظهار نموذج هذه الطاعة المنشودة وعلى التوضيح للعالم كيفيةَ إقامة عظمة المسلمين. باختصار، لا بد من رفع مستويات الطاعة وتقديم النماذج العملية لها. يذكر المسيح الموعود عليه السلام هذا الأمر ويقول:

"أي أطيعوا الله ورسوله والملوكَ. الطاعة شيء إذا اختاره الإنسان بصدق القلب نشأ في قلبه نورٌ وفي روحه لذة ونورٌ. ليست هناك حاجة إلى المجاهدات بقدر الحاجة إلى الطاعة. ولكن الشرط هو أن تكون الطاعة صادقة وهذا هو الأصعب. لا بد من ذبح أهواء النفس في سبيل الطاعة وإلا لا تتحقق الطاعة. وأهواء النفس شيءٌ يمكن أن يتحول إلى أوثان في قلوب الموحدين الكبار. كم كان فضل الله تعالى عظيما على الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين! وكم كانوا فانين في طاعة رسول الله ﷺ! صحيح تماما أنه لا يمكن لقوم أن يسمَّى أمة ولا يمكن أن تُنفخ فيهم روح الملة والوحدة ما لم يتمسكوا بمبدأ الطاعة. وإذا بقيت الفُرقة والخلاف في الرأي فاعلموا أنها بوادر الانحطاط والإدبار. ومن جملة أسباب ضعف المسلمين وانحطاطهم الخلافاتُ والنـــزاعات الداخلية أيضا. فلو تركوا الخلافات في الرأي وأطاعوا مَن أمر الله بطاعته لتمَّ ما أرادوا إتمامه. يد الله تكون مع الجماعة والسر في ذلك أن الله يحب الوحدة، ولا تتحقق الوحدة دون الطاعة. كان الصحابة في زمن رسول الله ﷺ ذوي رأي سديد من الدرجة العليا وقد خلقهم الله تعالى على هذا النحو، فكانوا مطّلعين جيدا على مبادئ السياسة أيضا، ويتبين بجلاء كم كانوا موهوبين من حيث سداد الرأي إذ أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وغيرهما من الصحابة حين أصبحوا خلفاء وملكوا السلطنة تحملوا عبئها الثقيل بحسن الإدارة والنظام. ولكن كانت حالتهم أمام رسول الله ﷺ أنه كلما قال ﷺ شيئا استخفّوا مقابلَه بآرائهم وفِطنتهم، وعدّوا كل ما قاله النبي ﷺ واجبًا العمل به. كانوا قد بلغوا في فنائهم في الطاعة حالةً بحيث كانوا يتباركون بفضل وضوئه ﷺ ويعدّون شفتَيه مباركتين. ولولا هذه الطاعة والخضوع الكامل فيهم، أو لو قدّم كل شخص رأيه لحدثت الفُرقة ولما نالوا تلك المراتب العليا.

أرى أنه يكفي دليلا لرفع النـــزاعات من بين أهل الشيعة والسنة أنه لم يكن في الصحابة شيء من الفُرقة والعداوة الداخلية قط لأن تقدمهم ونجاحاتهم يدل على أنهم كان متحدين دون أن تكون بينهم أدنى معاداة.

يقول المعارضون الأغبياء بأن الإسلام نُشر بقوة السيف ولكني أقول بأن ذلك ليس صحيحا، بل الحقيقة أن قنوات القلب فاضت بماء الطاعة. وكانت نتيجة الطاعة والوحدة أن استمالوا قلوب الآخرين. إن مذهبي هو أنهم اضطروا لحمل السيف لحماية أنفسهم فقط. وإلا كانوا قادرين على فتح العالم باللسان وحده حتما دون رفع السيف، كما يقول المثل الفارسي: القول الذي ينبع من القلب يؤثر في القلب.

يقول حضرته:

لقد قبلوا الصدق والحق، وقبلوهما بصدق القلب ولم يكن في ذلك أدنى تكلف أو رياء. فكان صدقهم سببا لنجاحاتهم. الحق أن الصادق يستخدم سيف صدقه. إن الوجه الكريم للنبي ﷺ الذي كان يعلوه نورُ التوكل على الله وكان يحمل صبغة الجمال والجلال وكان يملك جذبا وقوة كان يجذب القلوب عفويا. وقد أبدت جماعته نموذج طاعة الرسول وثبتت استقامتها فوق الكرامة لدرجة أنّ كل مَن كان يراهم ينجذب إليهم تلقائيا. *(إن ذلك النموذج الذي أروه وثابروا عليه كان بمنـــزلة الكرامة منهم بحيث انجذب إليهم تلقائيًا كلّ مَن رآهم)* إذًا، فهناك حاجة اليوم أيضا إلى التحلي بحالة الصحابة ووحدتهم لأن الله تعالى جمع هذه الجماعة التي تُعَدُّ على يد المسيح الموعود مع الجماعة التي أعدّها رسول الله ﷺ. ولأن تقدم الجماعة منوط بأسوة مثل هؤلاء الناس، لذا فأنتم الذين تسمَّون جماعة المسيح الموعود وتتمنون أن تلحقوا جماعة الصحابة عليكم أن تتصبغوا بصبغة الصحابة. فلتكن طاعتكم كطاعة الصحابة، والحب والأخوة المتبادلة كحبهم وأخوتهم. باختصار، يجب أن تتخلقوا بأخلاق الصحابة في كل شيء. (الحكم، مجلد٥، رقم٥، عدد١٠/٢/١٩٠١م ص١-٢)

لقد أوضح حضرته عليه السلام في هذا المقتبس أمورًا كثيرة، أولها هو: أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم أي رؤساءَكم وحكوماتِكم، ويدخل في ذلك نظامُ الحكومة ونظام الجماعة أيضا، أما طاعةُ الخلافة فتفوقهما، لأن الخلافة لا تقيم إلا أحكامَ الله ورسوله، ونظام الجماعة تابع للخلافة. وهذه ميزة جميلة للخلافة أنه إذا أثير نزاع بين المسئولين -الذين عُيِّنوا لإدارة نظام الجماعة- وبين أفرادها أزالَه خليفة الوقت، وهو أمر يدخل في واجبات الخليفة.

لقد قلت هنا أن طاعة الخلافة تفوق طاعة الحكومة، فيجب أن لا يُساء الفهم هنا، وينبغي أن يكون واضحًا أن الخليفة أكثر الناس اتباعًا لقوانين البلد، وأكثرهم مطالبةً باتباعها.

لقد قال المسيح الموعود عليه السلام: "المراد من أولي الأمر من الناحية المادية هو المِلك، ومن الناحية الروحانية هو إمام الزمان." (ضرورة الإمام)، وعليه فيمكن أن يستمر النظام الروحاني داخل نظام دنيوي لأي حكومة، وهو حاصل الآن. ونحن سعداء بكوننا جزءًا لهذا النظام الروحاني. ولقد أجرى الله تعالى نظام

الخلافة استمرارًا لنظام إمام الزمان الذي يهدف إلى إقامة حكم الله ورسوله في القلوب، وعند حدوث أي نزاع يفصل فيه الخليفة وفق حكم الله وحكم الرسول.

هذه منة الله علينا أننا ننعم بنظام الخلافة وإلا فالفِرق المختلفة والفقهاء يفسّرون {فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ} تفسيراتٍ مختلفة تعقِّد الأمور بدلاً من حلّها، كما أن أفكارهم في التعامل مع حكومة الوقت أيضا يمكن أن تؤدي إلى خلق مشاكل شتى. فلا يمكن الوصول إلى اجتهاد موحّد وقرار موحّد إلا في ظل الخلافة، وهو أمر لا يستطيع الأحمديون أداء حق شكره. ويمكن إظهار هذا الشكر من خلال الطاعة الكاملة للخلافة.

ثم قال المسيح الموعود عليه السلام وهو أمر هام جدًّا بأن الطاعة المخلصة تولّد نورًا في القلب ولذةً في الروح. لا شك أن المراد منه طاعةُ النظام الروحاني، وهو محكّ للجميع لاختبار طاعتهم، بحيث ينبغي أن يتساءلوا: هل ينشأ نور في القلب؟ وهل تنشأ لذة في الروح فتتنور؟ لو فكّر الجميع في هذا الأمر لعرفوا مستوى طاعتهم، وإلى أي مدى يطيعون الله وإلى أي مدى يطيعون رسوله، وإلى أي مدى يطيعون نظام الخلافة الذي أقيم بواسطة المسيح الموعود عليه السلام. فإن لم تؤدّ طاعة الله وطاعة الرسول إلى التحلي بهذا النور فقد قال حضرته عليه السلام بأنه لا فائدة من مثل هذه الطاعة. لا شك أن طاعة الحكومة تهب الأمن والسلام، أما النور الروحاني واللذة الروحانية فلا تُنال إلا من خلال طاعة النظام الروحاني.

ثم ذكر حضرته عليه السلام نقطة هامة لرفع معايير الطاعة فقال: ليست هناك حاجة إلى المجاهدات بقدر الحاجة إلى الطاعة. وعليه فلا يسع الإنسان نيل اللذة الروحانية والنور الروحاني ولا السكينة والطمأنينة بدون الطاعة مهما قام بمجاهدات متنوعة. فمن يتفاخرون بصلواتهم ويعتمدون كثيرًا على عباداتهم إلا أنهم يخرجون عن الطاعة فلا يستطيعون أن يرثوا أفضال الله تعالى.

ثم ذكر حضرته عليه السلام نقطة هامة أخرى لتحقيق مستوى عال في الطاعة حيث قال: لا بد من ذبح أهواء النفس في سبيل الطاعة، ولا بد من القضاء على التكبر ولا بد من وضْعِ المدية على رقبة الأنانية، ولا بد من جعلِ أهواء النفس موافقةً لمرضاة الله ورسوله لتحقيق المستوى المطلوب من الطاعة، وبدونه لا تتحقق الطاعة مطلقًا. قال حضرته بأنه يمكن أن تنشأ أوثان في قلوب الموحدين الكبار الذين يعبدون الله ويدّعون بأنهم يعبدون الله الواحد، وقلبهم عامرٌ بذكر الله، فقال حضرته بأنه يمكن أن تتبوَّء الأوثان في قلوبهم أيضا، وأن تكون أصنام الأنانية والفخر قابعة في قلوبهم رغم ادّعائهم بعبادة إله واحد. ومن المحتمل أن تدفع هذه الأصنام الإنسانَ مرة أخرى إلى التخلي عن الطاعة في أمور عادية، ناهيك عن أمور كبيرة. فقد وضَّح حضرته أن الصحابة الكرام رضي الله عنهم قد أحرزوا أسمى نتائج لعبادتهم بعد الطاعة الصادقة وهي قدوة لنا اليوم.

وكيف يجب أن تكون طاعتنا؟ فقد قال النبي ﷺ: اِسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَإِنْ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ بل زاد عليه وقال حتى لو أُمِّر عليكم من كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ، أي يجب أن تطيعوه حتى لو كان فيه بعض النقائص العقلية.

فقد ربط سيدنا المسيح الموعود عليه السلام تقدم الأمة بالطاعة فوضَّح قائلا: لا يمكن أن تسمى أيُّ أُمة أمةً ما لم تُنفَخ فيها روح الجماعة والوحدة، وما لم يتبنوا مبادئ الطاعة.

ففي اتخاذ هذه المبادئ يكمن سرُّ الرقي حصرا. كما قال النبي ﷺ أيضا إنكم لن تحرزوا الرقي إلا بالارتباط بالجماعة والاستماع إلى كلام الإمام وطاعته. فلو فهِم المسلمون اليوم هذا الأصل لصاروا قوة عظيمة لا تقاومها أي قوة مادية في العالم. أما نحن الأحمديون فيجب أن نسعى لتحقيق معايير الطاعة الكاملة. فقد وصف الله سبحانه وتعالى الطاعةَ -للجماعات الروحانية- بأنها خيرٌ عاقبةً. فمعلوم أنكم عندما تطيعون تكون العاقبة جيدة، ويتحقق بها الانقلاب. لكننا نلاحظ حتى في الأنظمة الدنيوية أيضا أن الطاعة تُحقِّق إنجازات رائعة غريبة كثيرة.

فنقرأ عن نابليون في التاريخ، حيث يقال عنه إنه تولَّى حُكم فرنسا حين كانت تتردى من الرقي، وكانت أوضاعها تسوء يوما بعد يوم. فقال نابليون للناس: لن تتمكنوا من إحراز النجاح ما دامت فيكم الفرقةُ والانشقاق. أما إذا تحليتم بالطاعة والامتثال فسوف تنجحون وتحرزون التقدم والانتصارات. فاستجاب له الناصحون للبلد وبدأوا يجتمعون حوله وجعلوه قائدا لهم، وسجلوا أروع نماذج الطاعة والامتثال. فقد ولَّد فيهم روحا بحيث كان الذين حوله يستجيبون لكل أمر له بل يقال إنهم قدموا لطاعته نموذجا رائعا قد غيَّر مجرى حياة نابليون نفسه، ومع أنه كان يدعو الناس للطاعة لكنه حين لاحظ الطاعة عمليا تولد في نفسه أيضا انقلابٌ أكبر.

باختصار أتى عليه زمن واجه فيه نابليون هزيمة وسُجن في إحدى جزر إيطاليا، لكنه تحرر بعد فترة بمساعدة بعض الناس، فجاء إلى ساحل فرنسا. وكانت حكومة جديدة قد قامت في فرنسا، وكان نظام جديد. وكان الملك الجديد قد دعا القساوسة إلى البلاط وبواسطتهم أخذ اليمين من الضباط والجنود واضعين أيديهم على الكتاب المقدس، وأخذ منهم عهدا أنهم سيطيعونه ويستجيبون لأوامره. وذلك لأنه كان متأكدا بأن نابليون قد خلق في الناس روح الطاعة لدرجة إذا عاد إلى البلاد فسينضم إليه الناس من جديد. فحين تحرر نابليون من السجن بطريقة ما وبمساعدة بعض الأصحاب وجاء إلى فرنسا بدأ يجمع حوله أناسا من المزارعين والعامة الذين كانوا أوفياء له. فلم يكونوا جنودا محنكين ولم يكونوا يملكون أسلحة كثيرة. باختصار حين علم الملك بذلك أرسل إليه كتيبة مع ضابط للقضاء عليه، وبالمصادفة التقى

الجيشان في مكان كان فيه ممر ضيق في الجبال، حيث كان يمكن المرور ولكن بتلاصق فيما بينهم. فأمر نابليون رجاله بالتقدم فتقدموا لكن الجيش الملكي أمطروا عليهم الرصاص وقضوا عليهم. فأرسل رجالا آخرين فقُتلوا هم أيضا، وواجهوا العاقبة نفسها، وأخيرا قال له رجالُه: لا مجال للتقدم والعدو أمامنا والمكان ضيق ولا نستطيع أن ننحرف إلى أي جهة أخرى، (*ثم إن جنود الملك قد حلفوا على أنهم سيدعمون الحكومة ويقتلون رجال نابليون*)، ولا نستطيع شنَّ الهجوم جيدا بسبب الممر، ونواجه الرصاص ونُقتل. فلما كان نابليون نفسه قد ربَّى الجنود الحكوميين أيضا وكان ولَّد فيهم روح الطاعة والامتثال، فقال لرجاله أن يذهبوا إلى الممر ويقولوا للجيش الحكومي: إن نابليون يقول لكم أن تُخلّوا سبيلنا، لكن الجيش الحكومي ظل يمطر عليهم الرصاص قائلين إننا قد حلفنا واضعين أيدينا على الكتاب المقدس أننا سنكون أوفياء للحكومة. لذا لا نستطيع الآن أن نستجيب لأوامر نابليون. لكن نابليون لم يثق بعدم استجابتهم لقوله، إذ كان واثقا بأنه قد ربَّاهم تربية رائعة يستحيل أن يتخلوا معها عن طاعته لأنه هو الذي قد ولَّد فيهم روح الطاعة، وزعم أنه لا يمكن أن يطلقوا الرصاص على رجاله. فأرسل عددا آخر من الرجال فقُتلوا هم أيضا. فتوجه إليهم نابليون بنفسه ليرى كيف لا يستجيبون له، فوقف في الممر وقال لهم: أنا نابليون وأقول لكم أن تُخلّوا سبيلي. فقال له الضابط الحكومي قد ولَّت تلك الأيام، فقد حلفنا بالوفاء للحكومة الجديدة. لكن نابليون مع ذلك كان واثقا بأنه لا يمكن أن ينسوا بهذه السرعة درس الطاعة الذي علَّمهم. فقال للجنود الحكوميين: إن جيشي سيتقدم حتما، إذا كنتم قد نسيتم الدرس الذي علَّمتُكم فها أنا واقف أمامكم فليتقدم أيّ جندي منكم يريد أن يطلق الرصاص على صدر ملكه؛ إذ قد ظللتُ أنا أحكمكم إلى الأمس القريب. إذا أردتم أن تقتلوا مَلككم، فها أنا واقف أمامكم فأطلقوا الرصاص عليَّ. فحين قال لهم نابليون ذلك عاد إليهم حماس الطاعة والامتثال القديم فرفعوا هتاف "عاش نابليون"، واندفعوا إليه راكضين، وكان بعضهم يبكي كالأولاد الصغار. فلما وصل الخبر إلى الضابط الذي كان خلفهم، تقدَّم بكتيبة كبيرة لشن الهجوم، لكنه حين تناهى إلى سمْعه نداءُ نابليون بأن مَلِكَكم نابليون يدعوكم، نسي ذلك الضابط والجيش أيضا العهد الذي كانوا قطعوه مع الملك الجديد. وانضموا إليه، وتمسَّكوا بعهد الطاعة الأول. على كل حال كانت هذه مساعي نابليون بحيث ولَّد في الشعب الفرنسي حماس الطاعة والامتثال في عصر الفرقة والتشتّت.

يقول سيدنا المصلح الموعود ﷺ في موضع بعد سرد هذا الحادث مثالا: لم يكن نابليون والقادة الآخرون مثله حائزين على التأييد الإلهي الذي يتمتع به الدين الحق، ومع ذلك أحدثوا انقلابا. أما المبايعون فوضْعهم مختلف، إذ إن مدلول البيعة ينحصر في التفاني في الطاعة، وهذا المدلول سامٍ لدرجة لا تنافسه الطاعة في

الأمور المادية. لقد قال عليه السلام إن أمر الطاعة المذكور في قول الله تعالى ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ يبلغ من الأهمية بحيث إذا لم تعمل به أية أمة، سواء أكانت تابعة لدين حقٍّ أم جاهلةً به، فلن تنجح أبدا.

فهناك حاجة لوضع قول حضرته عليه السلام هذا في الحسبان دوما مدركين أن الاتحاد والطاعة ضروريان لنا لنكون أمة حقا، إذ ليس دون ذلك إلا التردي والانحطاط والزوال. لقد بين الله تعالى هذا الموضوع في القرآن صراحة بقوله: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٥).

فهذا التوجيه الرباني واضح، ولكن المسلمين لسوء حظهم قد بلغوا منتهى الفرقة ناسين ما أُعطُوا من نِعم، وبلغوا الحضيض من التردي والانحطاط. لقد وصف المسيح الموعود عليه السلام هنا حالة المسلمين في زمنه، أما اليوم فقد صاروا أسوأ حالا، ومع ذلك لا ينتبهون.

لقد قال المسيح الموعود عليه السلام لو امتنعتم عن الخلافات وأطعتم شخصًا واحدا منكم – وهو إمام العصر الذي بعثه الله تعالى في هذا الزمن خادما صادقا للنبي صلى الله عليه وسلم ومسيحا موعودا– فسوف ترون كيف تُبارَك أعمالكم كلها. نسأل الله تعالى أن يلهم المسلمين الآخرين الصواب.

وقال المسيح الموعود عليه السلام إن يد الله مع الجماعة، وهذا ما نجده في أقوال النبي صلى الله عليه وسلم أيضا، والحق أنه ما لم تتمّ هذه الوحدة فمحال وصال الله والنجاحات الأخرى أيضا، ولا يحظى بوصال الله ولا يدرك وحدانية الله إدراكا صحيحا إلا الذين تكون عندهم الوحدة.

لذا فعلينا ألا نكتفي بأننا قد بايعنا، بل نحن بأمس حاجة لأن نصل المستوى المطلوب في البيعة، ونعرف هذا المستوى بالتدبر في لفظ البيعة الذي يعني بيع المرء نفسه لغيره، وسوف نرث أفضال الله تعالى ببلوغ هذا المستوى.

وبضرب مثال أبي بكر وعمر خصوصا، وبذكرِ الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين عمومًا، قد بيّن المسيح الموعود عليه السلام أن هؤلاء القوم كانوا ذوي رأي سديد وحنكة سياسية دنيوية، وقد تجلت كفاءاتهم هذه في حينها حيث أداروا دفة الحكم على أحسن وجه، أما في حياة النبي صلى الله عليه وسلم فبدا للرائي أنهم لم يكونوا يعرفون شيئا، إذ كان دأبهم عندها الطاعة الكاملة والعمل بأحكامه صلى الله عليه وسلم تماما، محتقرين آراءهم وعقولهم وذكاءهم، ولكن الدنيا قد رأت فيما بعد كيف أنهم قاموا بقيادة العالم. وهذه التربية العظيمة هي التي جعلتهم يقدّمون أسمى نماذج الاتحاد إبّان الخلافة الراشدة، فهناك واقعة

تاريخية تدل على ذكاء الصحابي أبي عبيدة رضي الله عنه وتواضعه وإيثارِه مصلحة الأمة على مصلحته الشخصية، وهي أنه تلقى من سيدنا عمر رسالةً يخبره فيها بوفاة سيدنا أبي بكر رضي الله عنهما ويأمره بعزلِ خالد بن الوليد وتولّي قيادة الجيش مكانه. ولكن أبا عبيدة لم يخبر خالدا الخبر إلا بعد أن أتمّ الصلح مع أهل دمشق ووقّع على ورقة معاهدة الصلح، وذلك إيثارًا لمصلحة الأمة على مصلحته الشخصية. ولما علم خالد فيما بعد بأوامر الخليفة بعزله وتعيين أبي عبيده مكانه قائدا للجيش، عاتب أبا عبيده بأنه لِمَ لم يخبر بأوامر الخليفة فورا، فغيّر أبو عبيده مجرى الحديث مشيدا بمواقف خالد وإنجازاته حتى طمأنه. ولكن القائد المسلم خالد بن الوليد ضرب أروع مثال لطاعة الخليفة بهذه المناسبة حيث أعلن بين الناس قائلا أيها الناس قد أُمّرَ عليكم الآن أمين الأمة- علمًا أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان قد لقب أبا عبيدة بالأمين- فرد أبو عبيدة عليه وقال: لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن خالدًا سيف من سيوف الله وخيرُ فتيان القبيلة.

فهذا هو المثال الأسمى على الرضا بقرار الخليفة عن طيب نفس. بفضل الله تعالى إن مشاعر الطاعة في جماعتنا قوية، ومع ذلك يحدث أحيانا أن أحدًا إذا عُزل من منصبه قال لماذا عُزلت، وما الذي ينقصني. ولو أخذ مثل هؤلاء الشاكين في الاعتبار نماذج الطاعة هذه المذكورة في التاريخ لما أثاروا مثل هذه الأسئلة.

على كل حال، علينا أنْ ندرك أن القرآن الكريم لا يزال كما هو، وأن أحكام الله لا تزال فيه كما هي، وأننا نطيع الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه الذي هدانا من قبل، ونجد هديه هذا في كتب الحديث، ولكن انظروا إلى ما آلَ إليه المسلمون اليوم، فهم في فتن وفساد داخليا من جهة، ومن جهة أخرى يمدّون أيديهم للأغيار. وقد بين المسيح الموعود عليه السلام أن هذه الفُرقة وهذه الخصومات التي نراها بين الشيعة والسنة – وقد ازدادوا اليوم فرقة وانقساما- إنما هي نتيجة الخروج عن الطاعة، وهذا هو الانحطاط والزوال. ولو أنهم اتحدوا لزال تلقائيا اعتراض المعارضين بأن الإسلام قد انتشر بحد السيف. لقد بلغ الصحابة من الاتحاد والطاعة مبلغًا غزوا به القلوب، وإلى مثل هذه الوحدة يفتقر المسلمون اليوم، أما أتباع المسيح الموعود عليه السلام فهم أحوج إلى هذه الطاعة، إذ قد نبه جماعته وقال: عليكم أن تقدموا نماذج الصحابة لكي يقطع سيف صدقكم الأعداء قطعا مستمرا. وهذا لن يتأتى إلا إذا تحلى كل واحد منا بطاعة كاملة وانقياد تام، وسعى لإحداث ثورة في نفسه. إذا أطعنا الله ورسوله طاعة كاملة فسوف نجد نصيبا من النور الذي وهب للنبي صلى الله عليه وسلم.

فالمسئولية الملقاة على كل أحمدي جسيمة، ألا وهي أن يكون بعد البيعة على يد المسيح الموعود عليه السلام نموذجا مثاليا للعمل بقول الله تعالى ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾، نموذجا

يجتذب إليه الأنظار. هذا هو السلاح الذي به نستطيع غزوَ القلوب، ونأتي بالناس إلى الله وعند قدمي رسوله صلى الله عليه وسلم، ونهدي الدنيا، ونقضي على ما انتشر في العالم من أنواع الفساد. وكما قلت إن أحكام الله متيسرة لنا في صورة القرآن الكريم، وهي قابلة للطاعة وصالحة للعمل بها، وإن أسوة النبي صلى الله عليه وسلم لموجودة عندنا وقد فُرض علينا التأسي بها، وإن النظام الروحاني لأولي الأمر متيسر في جماعتنا، ويذكّرنا دوما بالعمل بأحكام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم. فلا مبرر لأن نعجز عن التميّز عن الآخرين والبروز. وفَّقنا الله جميعا لذلك، وجعلنا نحقّق الآمال التي عقدها المسيح الموعود عليه السلام علينا. آمين.